مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (30) العدد (2)2008
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (30) No. (2) 2008

صورةُ العاشقِ في الشِّعر بين صدرِ الإسلامِ والعصرِ الأمويِّ

الدكتور عبد الكريم يعقوب*
أمين أحمد حميدوش**

(تاريخ الإيداع 22 / 9 / 2008. قبل للنشر في 18 / 12 / 2008)

□ الملخّص □

إنَّ الحديثَ عن صورةِ العاشقِ في الشِّعر العربيِّ ، يبيِّن لنا بوضوح مستوى العاطفة الَّتي احتوت كيان الشَّاعر، مع الحسبان نوعيَّة العاطفة.ففي صدر الإسلام جاءت الدَّعوة لضبطها، وتوجيهها باتجاه السُّموِّ بعيداً عن الحسيَّة، الَّتي كان يتغنى بها الشعراء، فلبست العاطفة حلَّةَ دِينيَّةَ جديدة عند معظم شعراء الدَّعوة، الَّذين أخلصوا لدينهم ، لكنَّ بعضهم اتَّخذ هذه الحلَّة عباءة إلى حين استطاع خلعها.أمَّا في العصر الأموي فقد أفلتت هذه العاطفة من عقالها، وتلوَّنت بلونين :لون العفَّة،وقد مثَّله كوكبة من المحبين شعراء الغزل العفيف، ولون الحسِّية ، وقد مثَّله تيَّارٌ من الشُّعراء الحسِّيين . ولم ينس البحث وظيفة الحكَّام في تغذيةِ هذه العاطفةِ ، وتأجيجِها. من هنا انقسمت صورة العاشق إلى نوعين أساسيين؛ هما: صورة العاشق العفيف، وصورة العاشق الحسِّيِّ.

الكلمات المفتاحية: العاشق، الإسلامي ،الأموي.

* أستاذ –قسم اللغة العربية – كلية الآداب–جامعة تشرين– اللاذقية –سورية.
**طالب دراسات عليا (دكتوراه)– قسم اللغة العربية – كلية الآداب –جامعة تشرين–اللاذقية–سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (30) العدد (2)2008
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (30) No. (2) 2008

Amorous image in poetry, between Islam's climax and Umayyad period

Dr. Abdul Kareem Yakoob*
Ameen Hymaidoosh **

(Received 22 / 9 / 2008. Accepted 18 / 12 / 2008)

□ ABSTRACT □

Discussion about amorous image in Arabic poetry clearly shows us emotion level which involved poet being, taking into account the quality of emotion. In ISLAM'S climax, the call comes, to calibrate, and to direct this emotion, far away from sensational which the poet used to celebrate before Islam. Therefore, emotion had a new religious dress, and, this dress became an original part of its composition, for several poets, who, were faithful for their religion, however, some others, used this dress, as cloak, until they can takeoff. But, this emotion in the Umayyad period, escaped from its node, and had two colors: virtues and saintliness, which were represented by a group of poets, lovers of innocent amorousness poetry, and, sensual color, represented by a current of sensual poets. The research does not forget the ruler's role in feeding, and stimulating this emotion. So, amorous image were divided in two major types, namely: the image of innocent amorous and the image of sensual amorous.

Keywords: amorous, Islam, Umayyad.

*Professor of Classic Literature, Department of Arabic Language, Faculty of Literature, Tishreen University, Lattakia, Syria.
**Postgraduate Student, Department of Arabic Language, Faculty of Literature, Tishreen University, Lattakia, Syria.

مقدِّمة:

جاء في لسان العرب عن العشق:[هو فرط الحبِّ، وقيل:هو عُجْبُ المُحبِّ بالمحبوب يكون عفاف الحبِّ[2]، وقالت الأعرابية:[هو تحريك السَّاكن، وتسكين المتحرّك][3].

وقال الجُنَيْد:[العشق ألفة رحمانيَّة، وإلهام شوقي، أوجبهما كرم الله تعالى على كلِّ ذي روح لتحصل به اللَّذَّة العظمى الَّتي لا يُقدر على مثلها إلاَّ بتلك الألفة][4] لقد نظر الإسلام إلى عاطفة الحبِّ نظرة خاصَّة، منحتها السُّمو والرِّفعة، وأضفت عليها التقدير والاحترام، وذلك عندما [اشترطت أن تظلَّ هذه العاطفة في نطاقها الفرديِّ، فلا تجاوز ولا مساس بالحياة العامة][5]؛ لأنَّ المجتمع الإسلامي لا تنصبُّ فيه كل قوى الحبِّ وتياراته في المرأة، إنَّما تجد مجالها في تيارات وقوى أخرى من المجتمع، من هنا كان عمل الحياة الإسلامية في الحبِّ أن [حوَّلت اتجاهه من خارج النَّفس إلى داخلها، ودفعته إلى أن يتعمَّق ذاته أكثر من أن يحقق لذَّاته][6].

أهمِّية البحث وأهدافه:

جاءت أهمِّيَّة البحث من عدَّة نقاط،فهو بحث جديد أوَّلاً،كما أنَّ طريقة تعاطيه مع مفهوم الصُّورة ، والدُّخول في فضاءاتها لم يكن عملا عاديًّا،إنَّما قارب مفهومها بطريقة جديدة من زاويتين مهمَّتين :صورة العاشق الحسِّيَّة وما تمثِّله،وصورة العاشق العفيف وما تمثِّله،كما حاول البحث إلقاء الضَّوء على فضاءات هاتين الصُّورتين، وبيان ماهيتهما، والتَّغيرات التي رافقتهما في فترتي صدر الإسلام والعصر الأموي.

تعرَّضت صورة العاشق في فترتي صدر الإسلام والعصر الأموي لمؤثِّرات جديدة ومختلفة،منها ما هو خارجي جاء من المحيط . سواء القبيلة أو الأسرة . ،ومنها ما هو داخليّ يتعلق بالعاشق نفسه، وما يحمله في كوامن نفسه، وقد شكَّلت هذه المؤثِّرات مادَّة غزيرة للبحث،حيث أراد من خلالها رصد التَّطورات التي تعرَّضت لها صورة العاشق بمختلف ألوانها وحالاتها،في مرحلتي صدر الإسلام والعصر الأموي.

منهجية البحث:

اختار البحث المنهج التَّاريخي، والاجتماعيِّ، كما اتَّخذ من الدراسة النَّصِّية طريقاً واضحاً للدِّراسة والبحث،علَّه يصل الغاية المرجوَّة.

إنَّ الحديث في شعر الغزل الإسلامي يبيِّن لنا بوضوح؛أن الشَّاعر الإسلاميَّ حين يتحدَّث عن عاطفة الحبِّ،فإنَّه يتحدَّث بأسلوب أقوى مما كان يتحدَّث عنها الشَّاعر الجاهليُّ ؛لأنَّ العاطفة أصبحت موجَّهة نحو الحبِّ السَّامي للاتِّحاد به، والتَّماهي معه، من هنا ربط الإسلام بين الحبِّ والعفَّة،واقترنت صورة العاشق بالعفَّة والقدرة على ضبط النفس، وقمع الشَّهوات، كما ارتبط عشقه بالإخلاص والوفاء، وحفظ السِّرِّ، حتَّى أصبح ظاهرة تعبِّر عن

---

[2] مادة عشق، ج1/ 251 .

[3] المصدر نفسه، ج1/ 252 .

[4] ديوان الصبابة ، ص / 25.

[5] تطوّر الغزل بين الجاهلية والإسلام،ص/208.

[6] المرجع نفسه ، ص/ 213 .

وجدان المجتمع الإسلامي تجاه العاطفة، وهذه القضايا من صميم ما دعا إليه الإسلام، كقول كعب بن زهير عندما أنشد الرسول (ص) قصيدته الاعتذارية([7]) :

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُوْلُ مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُجْزَ مَكْبُوْلُ

أمَا حسَّان، فقد كان أقلّ الشُّعراء ذكراً للمرأة، وعناية بها في شعره، ولكن حين يذكرها، تعود به الذكريات إليها، فيتغزَّل بها، ويرسم لها الصُّور المختلفة، يقول[8]:

بَانَتْ لَمِيْسُ بِحَبْلٍ مِنْكَ أَقْطَاعِ وَاحْتَلَّتِ الْغَمْرَ نَزْعاً ذَاْتَ أَشْرَاعِ
وَأَصْبَحَتْ في بَنِي نَصْرٍ مُجَاوِرَةً تَرْعَى الأَبَاطِحَ في عِزٍّ وَإِمْرَاْعِ
كَأَنَّ عَيْنَيَّ إِذْ وَلَّتْ حُمُولُهُمُ في الْفَجْرِ فَيْضُ غُرُوبٍ ذَاْتِ أَتْرَاْعِ
هلاَّ سَأَلْتِ هَدَاكِ اللهِ مَاحَسَبِي أُمَّ الْوَلِيْدِ وَخَيْرُ الْقَوْلِ لِلْوَاعِي

جاء ذكر المرأة في شعر حسَّان الإسلاميِّ،بعيداً عن الحسِّيَّة ،والتزاماً بما جاءت به الدَّعوة الإسلامية ،في تماهي واضحٍ مع مبادئها،فالمرأة في شعره مصدر الخير،ونبع الحياة الذي يغذِّي شرايين الحياة المتمثِّلة بالبشر،وقد استعان في صياغة شعره بالمؤثرات الإسلاميَّة ؛من معاني وألفاظ،كهداك الله،وخير القول،وبذلك ألبس شعره حلَّة جديدة، نفضت غبار الحلَّة الجاهليَّة القديمة،واحتفظت ببعض ما تناسب معها ،فاتَّخذ شعره اتجاهاً واضحاً في تعاطيه مع المرأة؛التي حضَّ الإسلام على عدم التَّعريض بها ومضى الشُّعراء على هذا النَّهج حتَّى خلافة عمر، الَّذي كان متشدِّداً في تطبيق الأحكام الدِّينية ،فقد كان ينكر على الشُّعراء غير معالي الأخلاق، وصواب الرأي، لكنَّ الفتوحات الإسلامية منحت العرب الكثير من الخيرات، والمزيد من السراري، والأسيرات، فعاد الشُّعراء للتَّشبيب بالنِّساء من جديد، ممَّا استوجب تهديد الخليفة لهم لردعهم، فقال:[لا يتشبَّب أحد منكم بامرأة إلاَّ جلدته][9].

لكنَّ بعض شعراء اللَّهو والغزل لم يأبهوا لتهديده، كأبي محجن الثَّقفي؛ الَّذي لم تكن الخمرة أبرز الأهواء المنحرفة في سيرته، إنَّما كانت النِّساء أيضاً، فقد سمع بامرأة جميلة من الأنصار يقال لها الشَّموس، فقرَّر لقاءها ،لكنَّه فشل ،فاستخدم الحيلة،[وتنكَّر بزي عامل، وأشرف من كوَّة بستان مطلٍّ على بيتها](10)،فحين رآها، قال[11]:

وَلَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى الشَّمُوْسِ وَدُوْنَها حَرَجٌ مِنَ الرَّحْمَنِ غَيْرُ قَلِيْلِ
قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُنِي كَأَغْنَى وَاْحِدٍ وَرَدَ الْمَدِيْنَةَ عَنْ زِرَاْعَةِ فُوْلِ؟

لم يستطع أبو محجن ضبط نفسه،والسَّيطرة على شهواته،وهذا دليل على بروز الغريزة وسيطرتها على شخصيَّته،وتراجع العواطف الإنسانية النبيلة،أمام هذا الهجوم الغريزيِّ الجارف،فالمجازفة في تحدِّي الخليفة،وأخذ نظرة من كوَّة البستان احتيالاً دليل واضح على مدى تمرُّد الشاعر على تعاليم الدِّين ،التي لم يأخذ الشَّاعر منها سوى اللفظة للتَّستُّر وراءها، وتحقيق ما يريد.

---

[7] ديوانه ،ص / 6 .

[8] ديوانه، ص / 307 ، 308.لميس :اسم امرأة،واللميس المرأة لينة الملمس.أقطاع:متقطِّع.واحتلت الغمر...أي:أصبحت في خصب من العيش.والغمر ماء بمكة حفره بنو سهم.والشراع:مورد الشاربة للناس وربما للدَّوابِّ .الأباطح:بطون المسيل.الإمراع:الخصب.

[9] تاريخ آداب العرب، ص / 113 .

[10] الأغاني،ج5/19.

[11] ديوانه، ص / 53.

أمَّا حُمَيْدُ بن ثور الهلالي ، فلم يكن كأبي محجن في صراحته، إنَّما كان أقرب إلى الكياسة، وذلك لمحاولته التَّكيف مع الحياة الجديدة، والرَّغبة في الامتثال لمثلها العليا، من خلال امتثاله لأوامر الخليفة،لكنَّه عندما كان يريد أن يتغزَّل، كان يتغزَّل مكنِّياً عن ذلك، بقوله[12]:

أَبَى اللهُ إلاَّ أنَّ سَرْحَةَ مَالِكٍ على كُلِّ أَفْنَانِ العِضَاهِ تَرُوْقُ

فَيَا طِيْبَ رَيَّاهَا وَيَابَرْدَ ظِلِّهَا إِذَا حَانَ مِنْ حَامِي النَّهَارِ وَدُوْقُ

وَهَلْ أَنَا إِنْ عَلَّلْتُ نَفْسِي بِسَرْحَةٍ مِنَ السَّرْحِ مَسْدُوْدٌ عليَّ طَرِيْقُ

لقد حاول الشَّاعر ضبط نفسه ،والتَّخفيف من شهوته، فحاول التَّنفيس عنها بطريقة ملتزمة سلك فيها طريقاً عبَّر من خلاله عمَّا يريد دون المسِّ بالثَّوابت والتَّعاليم الدِّينية،من خلال التَّخفِّي وراء السَّرحة، والاختباء بين ظلال الأشجار، إلاَّ أنَّ الشَّجرة دلَّت على مكان وجوده بين أوراقها، وحديثه عن السَّرحة واكتمالها أمر من الله، وهو يريد من ذلك التماس العذر لنفسه. اختلفت طريقة تعاطي الشَّاعر مع موضوع الغزل في صدر الإسلام عمَّا هي عليه في العصر الأموي، ففي صدر الإسلام حافظ شعراء الغزل على السُّمو في التَّعاطي معه ؛ لأنَّ العاطفة بقيت على منسوبها الدِّيني العالي، فتهذبت وتشذَّبت، وهذا ما مثَّلَهُ أوضح تمثيل شعراء الغزل العفيف، كعروة بن حزام الَّذي أحبَّ ابنة عمه عفراء حبّاً أودى بحياته، نتيجة غدر عمِّه له وتزويجها من رجل شاميٍّ ميسور، فقال لعمِّه[13]:

فَيَا عَمِّ يَا ذَا الْغَدْرِ، لاَزِلْتَ مُبْتَلَى حَلِيْفاً لِهَمٍّ لاَزِمٍ وَهَوَانِ

غَدَرْتَ وَكَانَ الْغَدْرُ مِنْكَ سَجِيَّةً فَأَلْزَمْتَ قَلْبِي دَائِمَ الْخَفَقَانِ

وَأَوْرَثْتَنِي غَمًّا وَكَرْباً وَحَسْرَةً وَأَوْرَثْتَ عَيْنِي دَائِمَ الْهَمَلاَنِ

إنَّ قراءة متأنِّية لأبيات عروة تبيِّن مدى النَّقمة العارمة التي حملها على عمِّه،إذ صبَّ جام غضبه عليه ،وحمَّله مسؤولية ماآلت إليه الأمور بينه وبين محبوبته عفراء، ولكنَّ بالمقابل فإنَّ قراءة موضوعية للأبيات والأحداث والظُّروف المحيطة تبيِّن بوضوح أنَّ عمَّه لا يتحمَّل المسؤولية بمفرده،فظروف عروة السَّيئة،وفقره وعدم قدرته تقديم المهر المطلوب ،وضعف عمِّه أمام زوجته ،التي كان لها الكلمة الفصل في هذا الأمر،وربَّما كان لعمِّه بغض الخاطر في هذا الزَّواج ظنَّاً منه أن عروة لن يستطيع تأمين المهر المطلوب،فجارى زوجته وترك الحكم في هذا الأمر للزّمن القريب القادم . كلُّها عوامل لعبت دوراً سلبياً ضدَّه ،وكانت صدمة قويَّة عندما كشفت الحقائق،فراح ضحيَّة لحبِّه وغدر عمِّه.

وقيس بن الملوَّح، الذي كان له عالمه الحافل بالألم والمعاناة، [فتلك ليلاه الَّتي لا تبعد عنه إلاَّ خطوات، ولا يستطيع أن يراها،أو هو يتعمَّد ذلك، كي لا يسيء إليها، أو يثير حولها الظنون][14]،وهل هناك أسمى من تضحية المحبُّ في سبيل من يحبُّ؟.إنَّها تضحية قدَّمها المحبُّ قرباناً على مذابح الوشاة والنَّمامين، يقول [15]:

أُرَدِّدُ عَنْكِ النَّفْسَ وَالنَّفْسُ صَبَّةٌ بِذِكْرِكِ وَالْمَمْشَى إِلَيْكِ قَرِيْبُ

مَخَافَةَ أَنْ تَسْعَى الْوُشَاةُ بِظَنَّةٍ وَأَكْرَمَكُمْ أَنْ يَسْتَرِيْبَ مُرِيْبُ

لم يدَّخر شعراء الغزل العفيف جهداً في الحفاظ على سمعة من يحبُّون ،انسجاماً مع نوعية غزلهم،وطبيعة بيئتهم،وتماهياً مع الأخلاق العربية الأصيلة،وتنفيذاً لتعاليم الدِّين الجديد،إضافة إلى هذه العوامل ؛استعدادهم الفطريِّ

---

[12] ديوانه، ص/70 .سرحة مالك:كناية عن امرأة .تروق:تزيد عليها في حسنها وبهائها.رياها:طيب الرائحة.الودوق:شدَّة الحرِّ.

[13] ديوانه، ص /41، 44 .

[14] شعراء من الماضي، ص / 128.

[15] ديوانه، ص/ 59 .

لذلك،وقيس بن الملوَّح واحد من هؤلاء الذين آلوا على أنفسهم الحفاظ على من يحبُّن،وألاَّ يكون مصدر إساءة لمحبوبته رغم فرب المكان،فعاش العذاب ،واكتوى بنار الحبِّ المتوقِّد في داخله ،فأنهك قواه وأضعفه دون أن يسمح لنفسه طلب لقائها ؛كي لا يفسح المجال للوشاة والمتربصين الإساءة لمحبوبته.

لم يوفر شعراء الغزل العفيف فرصة للتعبير عن صبابتهم ووجدهم إلاَّ وظَّفوها خدمة لأغراضهم، فكانوا يقلبون المعاني، ويختارون التعابير، ويرسمون الصُّور على أنواعها، تعبيراً عن حبّهم وإخلاصهم لمن يحبِّون، يقول جميل بثينة[16]:

ومَا ذَكَرَتْكِ النَّفْسُ يَا بَثْنَ مَرَّةً مِنَ الدَّهْرِ إلاَّ كَادَت النَّفْسُ تَتْلَفُ
وَإلاَّ عَلَتْنِي عَبْرَةٌ وَاسْتِكَانَةٌ وَفَاضَ لَهَا جَارٍ مِنَ الدَّمْعِ يَذْرِفُ
ومَا اسْتَطْرَفَتْ نَفْسِي حَدِيْثاً لِخُلَّةٍ أُسَرُّ بِهِ إلاَّ حَدِيْثُكِ أَطْرَفُ
لَعَمْرُكِ لاَ يَنْفَكُّ حُبُّكِ فَاعْلَمِي جَوًى لازِمِي مَا دَامَتِ العَيْنُ تَطْرِفُ

لقد ثبَّت الحبُّ أسسه المتينة في نفس الشاعر،فتملَّكه وتمكَّن منه،وأجهز على أية قوَّة داخلية قد تعترض عوامل وأسباب السيطرة على النَّفس،فأصبح الاهتمام متَّجهاً نحو المحبوب،وأصبحت الحياة بجمالها ورونقها تظهر لديه من خلال حديث المحبوب أو تصرفاته،وهذا يؤكِّد أنَّ قلب المحبِّ قلب مملوك لا يعمل كما يريد صاحبه،بل كما يريد المحبوب،وتلك هي التَّبعية الكاملة، التي يعيشها المحبُّ طوعاً مع علمه بكلِّ نتائجها،وتتلك هي فلسفة المحبِين ومذاهبهم.

لقد حاول الشُّعراء المتيَّمون يائسين التَّخلص من هذا العشق وآلامه، وهذه الحالة وعذاباتها،الَّتي أودت بحياة الكثيرين منهم، لكنَّهم فشلوا أمام المحاولة الأولى الَّتي كانت الحال فيها رفض القلب لما يريد صاحبه، كما حدث لأبي صخر الهذلي، الَّذي حرَّكت غرائزه الذِّكرى، فتحركت كوامن صبابته، وانتفض جسمه انتفاضة المتمرِّد، كطير بلَّله القطر وهو بعيد عنه، يقول[17]:

وَإنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرَاكِ فترَةٌ كَمَا انتفَضَ العُصْفُوْرُ بَلَلّهُ القَطْرُ
صَدَقْتِ أَنَا الصَّبُّ المُصَابُ الَّذِي بَدَا له تَبَارِيْحُ حُبٍّ خَامرَ الْقَلْبَ أو سِحْرُ
هَلِ الوجْدُ إلاَّ أَنَّ قَلْبِيَ لَو دَنَا مِنَ الجَمْرِ قيدَ الرَّمْحِ لاحتَرَقَ الجَمْرُ

لقد نزعت الذِّكرى صمَّمات الأمان عن أحاسيس الشَّاعر،فانفجرت بركاناً أطاح بكلِّ العوائق الحسِّية ،ومحاولات منعه من التَّحرُّر والانطلاق نحو المكان الآمن الَّذي تمثِّله محبوبته،وقد اتَّكأ الشَّاعر في توصيف حالاته على الصُّور البلاغية من تشبيه واستعارة؛لقدرة هذه الصُّور على رصد الحالات المشتعلة داخل كيان الشَّاعر؛والتي بدورها لو دنت من الجمر لأحرقته؛إنَّها جذوة الحبِّ وجمرة المحبِّين ،التي تطفئ كلَّ أنواع اللَّهب،فبدت حالته ميؤسة لا يقدر أحدٌ أن يقترب منها،ويطفئ جذوتها إلاَّ من أشعلها،وهذا أسلوب آخر من أساليب الاستعطاف والشَّكوى ،وهنا يكمن الإحساس العميق للشَّاعر بالعشق، فيقترب من حقيقته، كونه أشبه بقوى خفيَّة يراها الشَّاعر من خلال الأطياف المعروضة في صور العشق عبر هذه القوى.

[16] ديوانه، ص/133 ،134

[17] الأغاني،ج97/21

أما مجنون ليلى ،فله عتاب مع قلبه ودعوة لترك الهيام بليلى، من خلال الاعتصام والإقامة في منزله،وقد لجأ إلى اليأس؛ لأنَّ فيه . حسب زعمه . راحة للقلب من عذاباته، وإلاَّ فلن يجد هذا القلب من يواسيه حين يسلو العشَّاق، وقد آن له بعد هذا الأمد الطَّويل من العذاب أن يحاول السلوَّ بقلبه، عن مكمن عذابه، فيقول[18] :

ألا أيُّها القلبُ الَّذي لجَّ هائماً بليلى وليداً لم تُقَطَّعْ تَمَائِمُهْ
أَفِقْ قَدْ أَفَاقَ العَاشِقُوْنَ وَقَدْ أَنَى لك اليومَ أَنْ تَلْقَى طَبِيْباً تُلاَئِمُهْ
فَمَالَكَ مَسْلُوْبَ العَزَاءِ كَأَنَّمَا تَرَى نَأْيَ لَيْلَى مَغْرَماً أَنْتَ غَارِمُهْ
أَجَدَّكَ لا تُنْسِيْكَ لَيْلَى مُلِمَّةٌ تُلِمُّ ولا عَهْدٌ يطولُ تَقَادُمُه

إنَّها محاولات يائسة أراد الشاعر البناء عليها،للقفز فوق الآلام التي اعتصرت قلبه،إلاَّ أنَّ هروبه منها لم يقدْه إلاَّ إليها،فإرادته مسلوبة ،وقلبه محكوم،وعواطفه مكبَّلة بحبٍّ قهر كلَّ قوَّة حاولت إبعاده،لذلك فقد علم الشَّاعر أنَّ قلبه لن يطاوعه، وأصبح على يقينٍ تامٍّ أَنَّ حُبَّ ليلى قد تملَّكَه وعصف بكيانه،وأرغمه على ألاَّ يفكِّر بعد ذلك بالبعد عنها أو صرف قلبه عن هواها، مادام عشقها قد استوطن كيانه.

ويعاتب قيس بن ذَريح قلبه، ويقول له: اصطبر!، فقد رحلت لبنى وما من سبيل لوصالها مهما حاولت أن تكون قريباً منها، فهذه هي الدُّنيا كم فرَّقت بين القلوب، وكم دفنت من الأحلام، يقول[19]:

كَأَنِّي وَالِهٌ بِفِراقِ لُبْنَى تَهِيْمُ بِفَقْدِ واحِدِهَا ثَكُولُ
أَلاَ يَا قَلْبُ وَيْحَكَ كُنْ جَلِيْداً فَقَدْ رَحَلَتْ وَفَاتَ بِهَا الذَّمِيلُ
فَإِنَّكَ لاَ تَطِيْقُ رُجُوْعَ لُبْنَى إِذَا رَحَلَتْ وَإِنْ كَثُرَ الْعَوِيلُ
وَكَمْ قَدْ عِشْتَ كَمْ بِالْقُرْبِ مِنْهَا وَلَكِنَّ الفراقَ هُوَ السَّبِيلُ
فصبراً كُلُّ مُؤْتَلِفَيْنِ يَوْماً مِنَ الأَيَّامِ عَيْشُهُمَا يَزُولُ

جسَّد الشاعر حزنه من خلال الصُّورة الحزينة التي رسمها بعناية فائقة، عندما قارن حاله بحال واله فقدت وليدها،ليعبِّر عن عمق المعاناة التي يعيشها،والتَّشتت والضَّياع الذي يحاصر كيانه،والذي من خلاله ضاع حبّه المرتبط بروحه ارتباطاً عضوياً ،فأصبحا كلاًّ لا يتجزَّأ ،وفَقْدُ أحدهما يعني فَقْدَ الآخر.هذا الشُّعور الهائج أوصله إلى حدِّ النهاية،التي لو حدثت لكانت نهاية مأسوية،فجاءت مطالبته لقلبه . أن يكون جليداً . عاملاً أعاق حدوث شيء قد لا يكون في الحسبان،وقد قادته هذه المطالبة إلى التَّروِّي والحكمة،وعقلنة التَّصرُّف ،والقبول والتسليم بالواقع.

أمّا كثيِّر عزَّة، فلم يكن قلبه أقلَّ تمرداً من سابقيه، فقد نازعته نفسه على السلوّ، فوقف قلبه حائلاً بينه وبين نسيانها ؛ لأنَّ حبَّها تمكن من قلبه، فاستولى على كيانه،فبقي معلَّقاً بها، وكانت النتيجة الحرمان من نعمتي الصَّبر والسّلوان، يقول [20]:

وَلقَدْ أَرَدْتُ الصَّبْرَ عَنْكِ فَعَاقَنِي عَلَقٌ بِقَلْبِي مِنْ هَوَاْكِ قَدِيْمُ

هذه محاولة أخرى من كثيِّر أراد بها إنقاذ قلبه من العذاب الذي يكويه، فتبلسمه الذكرى إلى حين،وتلهيه المحاولات أحياناً أخرى، لكنَّ الفشل يكمن فيما يجنيه؛لأنَّ قلبه غارق إلى حدٍّ لا يستطيع الخروج أو التَّخلص من سلطان الحبِّ

---

[18] ديوانه، ص / 248. التميمة وجمعها تمائم : ما يعلق على الصبي.أنى :حان وقرب.أجدك :مالك أجداً منك..

[19] ديوانه ،ص /139 ،140. الواله:الذاهبة العقل حزناً وحيرة.الثكول :التي مات ولدها.الجليد:القوي.الذميل:السير اللين .

[20] ديوانه، ص /206. العلق:الهوى يكون للرجل في المرأة،وإنَّه لذو علق في فلانة.

ويحاول العاشق أحياناً أن يتخلَّص من ألم العشق كي يريح قلبه المعذَّب، لكنه ما إن يشاور قلبه بذلك حتَّى يتمرَّد عليه،ويخذله ويخرج عن إرادته، يقول عروة بن حزام[21]:

وَيُظْهِرُ قَلْبِي عُذْرَهَا وَيُعِيْنُها عَلَيَّ فَمَالِي في الفُؤَادِ نَصِيْبُ

إنَّ الهزيمة أمام العشق انتصار للقلب العاشق على الإرادة، وعلى كلِّ ما سواه، وهذا هو مذهب العاشقين المتيمَّن الذين تلونت صورهم بتلون حالاتهم النَّفسية،وحالات محبوباتهم، اللواتي استخدمن مختلف الأساليب للسَّيطرة على الحبيب، على الرَّغم ممَّايقاسيه من عذاب. فلا يرى العاشق فيما تفعله محبوبته إلاَّ الجمال ،[بل إنَّه يتلذَّذ بالإساءة كما يتلذَّذ بالحسنة، ولا تغيره الحوادث على اختلاف الأزمنة][22]، يقول الرَّاعي النُّميري واصفا ذلك[23]:

لَهُنَّ حديثٌ فاتِنٌ يَتْرُكُ الْفَتَى خَفِيْفَ الْحَشى مُسْتَهْلِكَ القَلْبِ طَامِعَا

إنَّ عاطفة الحبِّ تحيط بكيان المحبِّ ،فتنسيه كلَّ إساءات المحبوب بمجرَّد كلمة يقولها ،أو تصرُّف يقوم به ، وهذا جزء من مذهب العشَّاق،فالعاشق لا يرى في معشوقه إلاَّ ما هو جميل،فالقبح يراه جمالاً،والإساءة يعتبرها مديحاً،فلا يردُّ عليها إلاَّ انطلاقاً من قلب محبٍّ ،بعيداً عن الانتقام أو التَّشفِّي، ورغم أساليب التَّضييق من لدن محبوباتهم وتجنيهنَّ عليهم، فقد استمروا في حبِّهم،[وكان التَّجني من المحبوب وتعنُّته،يكاد يفوِّت الغرض المطلوب، ويتشبَّه بالهجر والقطيعة، ويعسر التفريق بينهما على من لم يحضر لجَّة هذه الشَّريعة .

لقد عانى العاشقون حالات البعد والهجران بسبب ارتحال المحبوبة عن الديار وبعدها عن عين من يحبّها، فذاقوا المرارة ،وتجرَّعوا كأسها،فلجؤوا إلى دعوة القلب للصَّبر على ما هم فيه ،يقول قيس ابن الملوَّح([24]):

ومَا هجرتْكِ النَّفسُ ياليلَ أَنَّها قَلَتْكِ ولكِنْ قَلَّ مِنْكِ نَصِيْبُها

فيَا نَفْسُ صَبْراً لستِ واللهِ فاعْلَمِي بِأَوَّلِ نَفْسٍ غَابَ عنها حَبِيْبُها

يحاول الشَّاعر تخفيف المعاناة عن نفسه،وتعزيتها بمن فقدت،وتلك محاولة للهروب من الواقع،من خلال اتِّباع أسلوب ولغة الأمر،كما أنَّها محاولة لإقناع النَّفس بما كتب لها،وهذه نفحة جديدة من النَّفحات الإسلاميِّة،التي جمَّلت النَّفس بالإيمان،وحصَّنتها بالصَّبر؛ لأنَّها لن تنال ما ليس لها.

أمَّا العرجي، فقد كان يعاني الهجر والحرمان من محبوبته ،وكثيراً ما كان يغتاظ ويتألم من هجرانها له، بسبب الوشاة الذين لايوفرون فرصة إلاَّ ويستغلونها للإيقاع بينهما ،وكانت سريعة التَّصديق وهذا ما آلمه،يقول([25]):

فَإِنْ تَكُ ليلى قَدْ جَفَتْنِي وطَاوَعَتْ . بِعَاقِبَةٍ . بِي مَنْ وَشَى وتَكَذَّبَا

فَقَدْ باعدَتْ نَفْساً علَيْهَا شَفِيقَةً وقَلْباً عَصَى فيها الحَبيبَ المُقَرَّبَا

فَلاَ مَرْحباً بالشَّامِتِيْنَ بِهَجْرِهَا وَلاَ زَمَنٍ أَمْسَى بِهَا قَدْ تَقَلَّبَا

لقد تحدَّث الشَّاعر بلغة المهزوم أمام ألسنة الوشاة المنتصرة ،والتي استطاعت أن تهزم القلوب الصَّادقة،فعاش الألم متقلِّباً على حدَّيه؛حدُّ الوشاية المنتصرة،وحدُّ الهجر الأليم،وهذا ما جعله يردُّ بسذاجة المحبِّين،على من حمل له راية الشَّماتة ؛لأنَّه لا يملك سلاحاً فعَّالاً ينتقم به ممن غدروه.

---

[21] ديوانه ،ص/ 23 .

[22] تزيين الأسواق ، ص / 27 .

[23] ديوانه ، ،ص/176 .فاتن:فاتر،خفيف:خفوت.القلب: الريح. وكذلك بهجة المجالس، ص /7.

[24] ديوانه،ص/68.وتروى الأبيات كما سلفنا سابقاً لقيس بن ذريح أيضاً.

[25] ديوانه،ص/169 .طاوعت:أطاعت.العاقبة :الجزاء والعقاب.وشى:نمَّ وسعى في الشرّ.زمن:مجرور لأنه معطوف على الشامتين.

والهجر والملالة من الأساليب التي استخدمتها صاحبته في التعامل معه،فما كان منه إلاَّ أن اتَّخذ العتاب أسلوباً لثنيها عن هجره،يقول([26]):

لَمْ أَجْنِ ذَنْباً ولم آتِ لَكُمْ سَخَطاً فَفِيْمَ تُحْجَبُ عَنِّي دُوْنَكِ الطُّرُقُ
قَدْ أَوْثَقَتْهُ بِغُلٍّ وَهْيَ مُطْلَقَةٌ هَلْ يَسْتَوِي المُوْثَقُ المَغْلُولُ والطَّلِقُ
فَمَنْ تَكَلَّفَ حُبًّا أو تَخَلَّقَه فَإِنَّ حُبَّكِ مِنِّي شِيْمَةٌ خُلُقُ

وعتاب العرجي محبوبته قائم على الاحتجاج ،وطلب الإنصاف ،لكنَّ الدهر خيَّب أمله ولم ينل ما يريد،تلك هي المعاناة الحقيقيَّة الَّتي يعانيها المحبُّ مع من يحبُّ، فلا يرقُّ له قلبٌ،ولا تلين له عاطفة.إنَّه المرض العضال الذي إذا دخل القلب استعصى شفاؤه، وانعدم دواؤه، فتقرب المنيَّة ببطء؛ لتذيق المريض عذابات العشق وآلامه، قبل أن تودي به .

أمَّا ليلى الأخيليَّة ،فقد كان لها مذهباً آخر في رسم صورة جديدة للعاشقين ،من خلال ما جسَّدته لنا هذه المقطوعة الشِّعريَّة،التي قالتها في توبة بعد مقتله،تقول([27]):

وتوبةُ أَحيَى من فتاةٍ حَيِيَّةٍ وأَجْرَأ من ليثٍ بخَفَّان خادرِ
ونِعْمَ فَتَى الدُّنْيَا لَئِنْ كانَ فَاجِراً وفوقَ الفَتَى إنْ كانَ ليسَ بفاجرِ
فَتى ينهلُ الحاجات ثمَّ يعلُّها فتطلعُه عَنْهَا ثَنَايَا المصَادِرِ
ولم يثنِ أَبراداً عِتَاقاً لِفِتْيَةٍ كِراماً ويرحلْ قبلَ فيءِ الهواجرِ

لقد حاصر الاضطراب والضَّياع كيان ليلى ،حتَّى امتزجت مشاعر الحبِّ بمشاعر الحزن،فرقَّت الألفاظ،وانسابت المعاني ولفَّ قلب العاشقة ثوب الحزن،الذي عانت مرارته مرَّتين:مرَّة بتزويجها برجل لا تحبُّه، ومرَّة بفقدها من تحب،فكان لهذا الأمر أبلغ الأثر في إثارة شجونها وأحزانها،ليمتزج غزلها بالمديح والحزن، وترسم لوحة رقيقة نطقت حباً وتوجَّعت ألماً،وجسَّدت صدق المشاعر،من خلال تجسيدها لمعاني الرُّجولة التي يتمتَّع بها توبة

أمَّا الحارث بن خالد المخزومي : فيعرض صوراً جديدة لحبٍّ دفين تمكَّن من قلبه، فحرَّك لواعج الشَّوق الَّتي أصبحت هادياً له إلى ديارها، فقال[28]:

إِنِّي وَمَا نَحَرُوا غَدَاةَ مِنىً عِنْدَ الجِمَارِ تَؤُوْدُهَا العُقْلُ
لَوْ بُدِّلَتْ أَعْلَى مَنَازِلِهَا سُفْلاً وَأَصْبَحَ سُفْلُهَا يَعْلُو
فَيَكَادُ يَعْرِفُهَا الْخَبِيْرُ بِهَا فَيَرُدُّهُ الإِقْوَاءُ وَالْمَحْلُ
لَعَرَفْتُ مَغْنَاهَا بِمَا احْتَمَلَتْ مِنِّي الضُّلُوْعُ لأَهْلِهَا قَبْلُ

لقد بالغ الشَّاعر في تصوير حاله هذه، فديار محبوبته محفورة في قلبه، فلا يمكن لأيِّ عاملٍ من العوامل أن يمحوها، وحتَّى لو امَّحت من الوجود، فإنَّ قلبه هو الدليل إلى ديارها .وهذا إعلانٌ واضحٌ عن مدى قربها والتصاقها في مكامن نفسه،وثبات جذور هذا الحب،التي لا تؤثِّر فيه عوامل الحتِّ،ولا محاولات التَّعرية والفصل،بل يزداد تماسكاً وصلابة كلَّما تعرَّض لهزَّة ما.

---

[26] ديوانه،/ص276.السخط:الحقد والغيظ.وقد أثبت الشاعر الياء في آتي رغم الجزم مراعاة للوزن.الغل:القيد.التكلف:التصنع.التخلق:تظاهر المرء بأخلاق غير أخلاقه.الشيمة:الطبع والسجية.خلق:مخلوق ثابت غير مصطنع.

[27] شاعرات العرب في الإسلام،ص/34.

[28] شعر هـ، ص/ 78.

أمَّا عبيد الله بن قيس الرقيَّات،فإنَّه يرسم صورة العاشق بلهجة المستعطف،الذي استخدم الأساليب الجديدة في الاستعطاف، وأبرز ألوان المعاني في الوصال، وكأنَّ قلبه قد أغلق على من أحبَّ، يقول[29]:

رُقَيَّ بِعَمْرِكُمْ لاَ تَهْجُرِيْنَا وَمَنِّيْنَا الْمُنَى ثُمَّ امْطُلِيْنَا
عِدِيْنَا في غَدٍ مَا شِئْتِ إِنَّا نُحِبُّ وَلَوْ مَطَلْتِ الْوَاعِدِيْنَا
فَإِمَّا تُنْجِزِي عِدَتِي وَإِمَّا نَعِيْشُ بِمَا نُؤَمِّلُ مِنْكِ حِيْنَا

إنَّه التَّمرد الَّذي يخفي في طياته الرضًا من المحبوبة ومن كلِّ ما يصدر عنها، والتَّهالك عليها، واستعطافها بأسلوب جعلها ترقُّ له، فينتشي بوصالها، ويبالغ في محاصرة حبيبته بلهجة الاستعطاف والتَّوسل كي تمنحهُ فرصة اللِّقاء،فينوِّع في الأسلوب واللهجة علَّه يجني ثمار عذاباته التي تجرَّع مرَّها .ويرسم صورة غزلية جديدة،لفتاة أحبَّها، لكنَّها فضَّلت غيره رغم حبِّه لها وتعلُّقه بها،ممَّا أثار غيظه،وزاد في حنقه،فقال([30]):

شَبَّ البَياضُ أَمَامَ صُفْرَتِهَا في رِقَّةِ الدِّيبَاجِ والعِنْقِ
فَظَلِلْتُ كالمَقْمُورِ خِلْعَتَه هذا الجُنونُ وَلَيْسَ بالعِشْقِ
وَتَنُو فَتُثْقِلُهَا عَجِيْزَتُهَا نَهْضَ الضَّعِيْفِ يَنُوءُ بِالوَسْقِ

إنَّ وقفةً متأنِّية مع الأبيات تظهر مدى تعلُّق الشاعر بمن يحب،كما تظهر عدم قدرته على إخفاء مشاعره،التي توضح بدورها عمق المعاناة التي كابدته،والآلام التي اعتصرت قلبه؛لاختيارها شخصاً غيره،وهذا ماجعله كمن خسر كلَّ شيء، ممَّا دفعه لتوجيه السِّهام باتِّجاه غريمه أوَّلاً،وباتِّجاه من يحب ثانياً،فتغزَّل بجمالها لإثارة غيظ غريمه واستفزازه،ورسم صورة مضحكة لهاه،لينتقم منها،ويحرمها طعم السَّعادة إن أمكنه ذلك.

لقد جاء الحبُّ العفيف ظاهرة من صلب الواقع المعيش،بكلِّ صفاته، معبِّراً عن تفصيلات هذه الظاهرة،ومصوِّراً معاناة العاشقين، وما لاقوه من عنت المحبوبة وقساوة الظروف بمختلف أنواعها،وإذا كان الحبُّ العفيف . الَّذي مثَّلته شريحة واسعة من الشُّعراء؛أصحاب العاطفة الشَّفافة الرَّقيقة؛الذين سلكوا الطُّرق الوعرة في الوصول إلى غاياتهم . قد فعل مافعل بالمحبِّين ،الذين قضى بعضهم حتفه ،وفَقَدَ بعضهم الآخر توازنه وغير ذلك،فإنَّ هذا المذهب لم يوافق أهل الحضر وبيئتهم،حيث اتجهوا نحو لون جديد من ألوان العشق والغرام،وهو الغزل الحسِّيُّ،الذي مثَّلته طائفة من الشُّعراء الغزلين، الذين سيذكر البحث بعضاً منهم،كعمر بن أبي ربيعة، فقد مثَّل صورة العاشق الحسِّي الَّذي لايرى نفسه إلاَّ عاشقاً متنقلاً بين الفتيات ،وكان موسم الحجِّ ربيعه للعشق والتشبيب بالنساء، يقول [31]:

لَيْتَ ذَا الْحَجَّ كَانَ حَتْماً عَلَيْنَا كُلَّ شَهْرَينِ حِجَّةً وَاعْتِمَارَا

كما تفنَّنَ في العشق ووصف الحسان وجمالهنَّ ،ورسم صورة العاشق الذي لايثبت قلبه على فتاة ،حتَّى إذا عجز عن الوصول إلى هدفه بالإقناع استخدم الحيلة، فإن نجح فلا يوفِّر فرصة للعبث بالقلوب، وقد ذكر ذلك بقوله[32]:

مَنْ يَكُنْ أَمْسَى خَلِيًّا مِنْ هَوىً، فَفُؤادِي لَيْسَ مِنْهَا بِخَلي
أَوْ يَكُنْ أَمْسَى تَقِيًّا قَلْبُهُ، فَلَعَمْرِي إِنَّ قَلبِي لَغَوي

وعلى غير عادته، فقد كان يرسم صورة العاشق العفيف ببعض شعره ،وكأنَّه يمثِّل هذا التَّيار، كقوله[33]:

---

[29] ديوانه، ص / 137 .

[30] ديوانه،ص/32.

[31] ديوانه، ص / 170.

[32] ديوانه، ص / 423. الغوي:الضال والمنقاد.

إِذَا اجْتَمَعْنَا هَجَرْنَا كُلَّ فَاحِشَةٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَذَاكُمْ مَجْلِسٌ حَسَنُ
فَذَاكَ دَهْرٌ مَضَتْ عَنَّا ضَلاَلَتُهُ وَكُلُّ دَهْرٍ لَهُ في سَيْرِهِ سَنَنُ

ولكن هل يُصَدَّقُ فعلاً أن عمر قد تعفَّفَ؟. من الجائز أن يكون قد وصل إلى قناعة رأى فيها العفاف طريقاً مهمًّا لابدَّ من السَّير عليه،لكنَّه سرعان ما ينتقل إلى مكانه الطبيعي مع المرأة، فهاهي الثريَّا تبرز في شعره وهي الَّتي دبَّجَ أشعاره بذكرها،ومع ذلك فإنَّه يصف حالها عندما لامتها صاحباتها فيه،يقول [34]:

مَرْحَباً ثُمَّ مَرْحَباً بِالَّتِي قَا لَتْ، غَدَاةَ الْوَدَاعِ، يَوْمَ الرَّحِيْلِ
لِلثُّرَيَّا: قُوْلِي لهُ أَنْتَ هَمِّي وَمُنَى النَّفْسِ خَالِياً وَالْجَلِيْلِ
فَالْتَقَيْنَا، فَرَحَّبَتْ، ثُمَّ قَالَتْ: عَمْرَكَ اللهُ ، إِيْتِنَا في المَقِيْلِ
في خَلاَءٍ، كَيْمَا يَرَيْنَكَ عِنْدِي، فَيُصَدِّقْنَنِي، فَدَاكَ قَبِيْلِي
لم يَرُعْهُنَّ، عِنْدَ ذَاكَ وَقَدْ جِئْ تُ لِمِيْعَادِهُنَّ، إِلاَّ دُخُوْلِي
قُلْنَ:هَذَا الَّذِي نَلُوْمُكِ فِيْهِ لاَ تَحَجِّيْ مِنْ قَوْلِنَا بِفَتِيْلِ
فَصِلِيْهِ، فَلَنْ تُلاَمِي عَلَيْهِ، فَهْوَ أَهْلُ الصَّفَاءِ وَالتَّنْوِيْلِ

لقد رسم لوحةً فنيةً متحرِّكةً، تنبض حياةً، وجمالاً،وألقاً فنِّياً، وهو محور هذه الصُّورة، لكنَّ تركيزه على محوريِّة شخصيته بيَّنَ مالديه من نقصٍ واضحٍ تجلَّى في عاطفته غير السَّوية، الَّتي تتوزَّع بين الفتيات اللَّواتي تقع عينه عليهنَّ،ومعاناته من الواشين، الَّذين زرعوا الفتنة والبعد والجفاء بينه وبينهنَّ، فيستحلف إحداهنَّ بالله ألاَّ تلتفت إلى ما يقولون ،فيقول[35]:

حَدِّثِيْنِي،وَأَنْتِ غَيْرُ كَذُوْبٍ: أَتُحِبِّيْنَنِي؟جُعِلْتُ فِدَاكِ!
وَاصْدُقِيْنِي، فَإِنَّ قَلْبِي رَهِيْنٌ مَا يَطِيْقُ الْكَلاَمَ فِيْمَنْ سِوَاكِ
قَدْ تَمَنَّيْتِ، في الْعِتَابِ، فِرَاقِي فَلَقَدْ نِلْتِ،يَا ثُرَيَّا، مُنَاكِ

فالشَّاعر يُظهر مدى المعاناة الَّتي ألمَّت به، واعتصرت قلبه، والهجر الَّذي لم يطق تحمله، فيذكرنا بالشُّعراء العذريين، لكنَّه سرعان ما يدحض ذلك كلَّه،بأشعاره المتهتِّكة،وها هو ذا يلهو ويطرب مع جوقة من النِّساء اللواتي رآهنَّ، أوتواعد معهنَّ ،يقول([36]):

ذَكَرَ القَلبُ ذِكْرَةً أُمَّ زَيْدٍ وَالمَطَايَا بِالسَّهْبِ سَهْبِ الرِّكَابِ
فَاسْتُجِنَّ الفُؤَادُ شَوْقاً وَهَاجَ الشَّ وقُ حُزناً لقَلبِكَ المِطْرَابِ
وَلَقَدْ أُخْرِجُ الأَوَانِسَ كالحُ وِّ بُعَيْدَ الكَرَى أَمَامَ القِبَابِ
بِتُّ في نِعْمَةٍ وَبَاتَتْ وِسَادِي ثِنْيُ كَفٍّ حَدِيْثَةٍ بِخِضَابِ

---

[33] ديوانه ص / 392.

[34] ديوانه، ص/ 285. أنت همِّي:أنت من يشغلني ويقلقني.المنى الآمال والأماني.الجليل:أقسم بالجليل.وهو اسم من أسماء الله الحسنى.المقيل: زمن القيلولة.فداك قبيلي:جعل قومي أنفسهم فداك.يرعهنَّ:يفزعهنَّ.لاتحجي من قولنا بفتيل:لا تأخذي من قولنا السَّابق،حجَّة لك ولو مقدار قليل.خِلَّة:الصديقة الوفية.

[35] ديوانه، ص / 265 .

[36] ديوانه،ص/34،35.السهب من الأرض:المستوي،وقيل الفلاة.المطراب:الكثير الطَّرب.والطرب :خفة تعتري الإنسان عند شدة الفرح أو الحزن.الأوانس:جمع آنسة وهي من النساء التي يؤنس إليها.الحو: جمع حواء ،وهي المرأة التي تميل شفاهها من الحمرة إلى السواد.ثني الكف:أي ثناؤها إذا انطوت.عفا الأثر :امحى واندرس.

ثُمَّ قُمْنَا لَمَّا تَجَلَّى لَنَا الصُّبْ حُ نُعْفَى آثارَنَا بِالتُّرابِ

لقد ساعدت عدَّة عوامل الشَّاعر على بروز الغزل الحسِّيِّ كظاهرة مهمَّة في عالمه الشِّعريِّ ،كالعامل النَّفسيِّ،والاجتماعيِّ، والاستعداد الفطريِّ،كما كان لعاطفته المتَّقدة الدَّور الفاعل في خوض غمار هذه التَّجارب مع المرأة ؛للكشف ما أمكن عن كلِّ جديد في عالمها،وقد ساعده على ذلك مكانته الاجتماعية ،وثرائه،وتكريس جلّ وقته خدمة لهذا الأمر،وها هو ذا يعرض في أبياته هذه تجربة عاطفية عاشها بتفاصيلها، التي عمل على تحقيقها بكل الوسائل،وها هو ذا أيضاً يصف هذه التجربة،فيثور قلبه،وتلتهب مشاعره على ذكراها مع أنَّها واحدة من تجارب كثيرة مرَّ بها ،وتلذَّذ حلاوتها،وعاش خوفها وقلقها،إلاَّ أنَّها استطاعت أن تطلَّ برأسها إلى الواجهة،لتضع الشَّاعر أمام أحداث جعلته يتذكر تلك اللَّحظات الجميلة التي قضاها على يدِ من يحب، وفي تجربة أخرى جسَّد للشاعر غزله الحسِّيِّ من خلال وصف رضاب محبوبته،فقال([37]):

ولَوْ تَفَلَتْ في البَحْرِ والبَحْرُ مَالِحٌ لأَصْبَحَ ماءُ البَحْرِ مِنْ رِيْقِهَا عَذْبَا

من الواضح أنَّ آثار التجربة لم تمحها الأيام، بل بقيت آثارها تحرك غرائز الشاعر، الذي أصبح أسيراً لها،كما هو أسير كلِّ تجاربه السَّابقة، التي عاشها مع الفتيات ،غير أنَّ الأسر هنا طوَّع إرادته ،فحين يتذكر أو يصف تجربة ما يشعرك وكأنه المحبُّ المخلص ،الذي لا يستطيع العيش من دون هذه الفتاة،غير أنَّه يظهر في مكان آخر وقد وصف تجربة جديدة ومع فتاة أخرى بالشَّوق واللَّهفة نفسيهما ،كيف لا؟! وهو العاشق اللَّاهي ،وصاحب المغامرات ،الذي غزا قلوب الفتيات ،فنوَّع الأساليب،وابتدع الحيل،للقاء من يرجو ويتمنى.وفي مكان آخرَ ،يقول([38]):

أَرَبَتِ الرَّوَادِفُ والثُّدِيُّ لِقُمْصِهَا مَسَّ البُطُونِ وَأَنْ تَمَسَّ ظُهُورَا

وإِذَا الرِّيَاحُ مَعَ العَشِيِّ تَنَاوحَتْ نَبَّهْنَ حَاسِدَةً وهِجْنَ غَيورَا

تبرز في هذا المقطع لغة الجسد ،الذي يأبى أن يمسَّه ثوب،فيعقد الشاعر حواراً تظهر فيه الدِّقة والبراعة في نقل الصورة وإبرازها،وتتضح أيضاً الغيرة والحسد،ويبيِّن بطريقة غير مباشرة مدى نجاحه في الوصول إلى هذا الجسد،في حين يأبى على الثياب أن تمسَّه.

أمَّا الأحوص الأنصاريِّ،فقد عكس حالاً جديدة من حالات العشق والعاشقين، وذلك من خلال غزله بأخت زوجه، فقال مصوِّراً ذلك بقوله ([39]):

تموتُ تَشَوُّقاً طَرَباً وتحيا وأنتَ جَوِ بدائِكَ مُسْتَهَامُ

سَلاَمُ اللهِ يَا مَطَرٌ عَلَيْهَا وَلَيْسَ عَلَيْكَ يَا مَطَرُ السَّلاَمُ

وَلاَ غَفَرَ الإِلَهُ لِمُنْكِحِيْهَا ذُنُوبَهُمُ، وَإِنْ صَلُّوْا وَصَامُوا

فَإِنْ يَكُنُ النِّكَاحُ أَحَلَّ شَيْئاً فَإِنَّ نِكَاحَهَا مَطَرٌ حَرَامُ

فَطَلِّقْهَا فَلَسْتَ لَهَا بِكُفْءٍ وَإِلاَّ شَقَّ مَفْرَقَكَ الحُسَامُ

لقد عكست درجة الشَّوق مدى الأزمة النَّفسيَّة التي عاشها الشَّاعر،كما عكست عمق المعاناة التي وسَّعت جراحاته،فعاش الصِّراعات والاضطرابات النَّفسية،التي أوصلته إلى حالٍ يصعب التَّأقلم معه،أو مجاراته،لكنَّه بالمقابل لم يستطع كتمان حبِّه الَّذي دفنه فترة من الزمن،إنَّما انفجر بركاناً هائجاً لم يستطع إخماده،فحرَّر مشاعره،وأطلقها صرخات

[37] ديوانه،ص/62.

[38] ديوانه،ص/198.

[39] ديوانه، ص / 146 ، 147 .النِّظام :الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ.جوٍ: أخذه من الجوى ،وهو الحرقة ،وشدة الوجد؛من عشق أو حزن.

مدوِّية لاختراق حواجز الصَّمت الَّتي آلمته كثيراً،كما حاول إيصال ما يريد إلى من يحب ،علَّه يستطيع أن يغيِّر شيئاً ما،فهدَّد وتوعَّد،ولكنَّه لم ينجح،إنَّها ثورة العاشق المأزوم، ونقمة الحزن والألم، وثورة الغضب ،الَّتي عصفت بالشَّاعر،فأعمت بصيرته،وأرَّقت حياته،حتَّى راح يطلق الأحكام ،فيحرِّم ويحلل في الزَّواج حسب ماتقتضي مصلحته،لقد قادته عاطفته غير السَّوية إلى الطَّريق الخاطئ والمسدود.

لقد كان الأحوص من العاشقين الذين لا يقفون عند امرأة واحدة،فهاهو ذا يصوِّر نفسه المشتاقة لمن يحبُّ ،فيقول[40]:

أَلاَ يَا عَبْلُ قَدْ طَالَ اشْتِيَاقِي إِلَيْكِ وَشَفَّنِي خَوْفُ الفِرَاقِ
وبتُّ مُخَامِراً أَشْكُوْ بَلاَئِي لِمَا قَدْ غَالَنِي وَلِمَا أُلاَقِي
كَأَنِّي مِنْ هَوَاكِ أَخُوْ فِرَاشٍ تَجَلْجَلُ نَفْسُهُ بَيْنَ التَّرَاقِي
حَلَفْتُ لَكِ الْغَدَاةَ فَصَدِّقِيْنِي بِرَبِّ الْبَيْتِ وَالسَّبْعِ الطِّبَاقِ
لأَنْتِ إِلَى الفُؤَادِ أَشَدُّ حُبّاً مِنَ الصَّادِي إِلَى الْكَأْسِ الدِّهَاقِ

يستخدم الشَّاعر أسلوب الاستعطاف والاستجداء في مخاطبة محبوبته،وهو المأزوم المهزوم أمام حبِّها وقلبها،لكنَّه لا يعتبر هزيمته إلاَّ نجاحاً للحبِّ ونصرة له،رغم كلِّ حالات الضَّعف التي عصفت به إلى أن وصل الوجد به حدَّ الشكوى،ولعلَّ لجوءه إلى تهويل حالته محاولة للوصول إلى غرضه كي يحقق غايته،كما أنَّ استخدامه القسم محاولة أخرى لإثبات صدقيَّة حبِّه،فهو يلوِّن الطُّرق،وينوِّع الأساليب علَّه يقف على شاطئ الأمان،ويطفئ جمرة حبِّه الملتهبة.

أمَّا يزيد بن عبد الملك فقد اتخذ الغزل الفاحش سبيلاً للتَّعبير عن تجاربه العاطفية، وحياة اللَّهو والعبث التي قضاها مع النِّساء،يقول([41]):

أَلَيْلٌ دَجَا أَمْ شَعْرُكِ الفَاحِمُ الجَعْدُ ؟ وَبَدْرٌ بَدَا أَمْ وَجْهُكِ المُشْرِقُ السَّعْدُ؟
وَنَرْجِسَةٌ هَاتِيْكَ أَمْ هي مُقْلَةٌ؟ وتُفَّاحَةٌ ذاكَ المُضَرَّجُ أَمْ خَدُّ؟
نقا بَرَدٍ في فِيْكِ هذا مُنَضَّدٌ أَبَنْتِ لنَا أَمْ لُؤْلُؤٌ ضَمَّهُ العِقْدُ ؟
وَحُقَّانِ مِنْ عَاجٍ لَطِيْفَانِ رُكِّبَا بِصَدْرِكِ ،أَمْ ثَدْيَانِ هذانِ أَمْ نَهْدُ؟

فالشَّاعر لا يرى في معشوقته إلاَّ تلك الفتاة التي تزرع عالمه بالحركة،وتشبع عالمه المادِّيَّ ،وتنقله إلى ذلك العالم الذي يحلم به،ولاسيَّما أنَّها القادرة على ذلك،كونها تتمتَّع بتلك المفاتن التي تجعل من الشَّاعر لا يستطيع ضبط نفسه،لامتلاكها مقوِّمات الجمال ،وأساليب الإغراء،فلا يرى نفسه إلاَّ وقد نقلته إلى هذا العالم الجديد؛ ليعيش لحظات السَّعادة على طريقته.وفي مكان آخر يقول([42]):

جاءَتْ بِوَجْهٍ كَأَنَّ البَدْرَ بَرْقَعُهُ نُوْراً على مائِسٍ كالغُصْنِ مُعْتَدِلِ
إِحْدَى يَدَيْهَا تُعَاطِيْنِي مُشَعْشَعَةً كَخَدِّهَا عَصْفَرَتْهُ صَبْغَةُ الخَجَلِ

لقد بهره وجهها،واستبدَّ به جمالها،حتَّى أصبح عاشقاً لها،وهائماً بها،فلم يستطيع البعد؛لأنه كلَّما حاول ذلك ازداد شوقه إليها وتضاعف توقه لوصالها،ويتضاعف الأمران عندما تقدِّم له كأس الخمرة ،الذي يعكس لون خدِّها،فتتناثر

[40] ديوانه، ص / 115 ،116 .
[41] ديوانه،ص/38.
[42] ديوانه،ص/57.

ومضاته لتزيِّن هذا الكأس فينطلق شعاع الشَّوق غازياً عالمه ،ويرتسم الحياء على وجهها رغبة في وصاله لا إحجاماً عنه،وهذا هو العالم الذي يريده يزيد،لأنَّ عاطفته لايحتويها إلاَّ عالم كهذا العالم.

ويأتي الوليد بن يزيد ليتابع مسيرة العشق في هذا العالم المادِّيِّ ،فيقول في سليمى بنت سعيد ابن خالد([43]):

ياسُلَيْمَى ياسُلَيْمَى كُنْتِ للقَلْبِ عَذَابَا
ياسُلَيْمَى ابْنَةَ عَمِّي بَرَدَ اللَّيْلَ وطَابَا
رِيْقُهَا في الصُّبْحِ مِسْكٌ بَاشَرَ العَذْبَ الرُّضَابَا

وإذا كان الوليد قد قال شعراً رقيقاً بسليمى ،إلاَّ أنَّ معظم شعره عبَّر عن عالم المرأة الحسِّيِّ ؛لأنَّ علاقته بها قامت على اللَّذة التي استطاعت أن توفِّرها له،وفي غزله المتهتِّك لايفرِّق بين امرأة وأخرى ،فحتَّى محبوبته سليمى،فقد تناولها بشعر يجافي العفَّة أحياناً،ولا غرابة في ذلك إذا علمنا أنَّ الوليد هو المعنيُّ بالكلام؛لأنَّه عاش دون قيود تردعه،.ويبين مذهبه في الحياة وما يروقه فيها،بكل صراحة ووضوح،فيقول([44]):

أُحِبُّ الغِنَاءَ وَشُرْبَ الطِّلاءِ وَأُنْسَ النِّسَاءِ وَرَبِّ السُّوَرْ
وَدَلَّ الغَوَانِي وَعَزْفَ القِيَانِ بِصِنجٍ يَمَانٍ قُبَيْلَ السَّحَرْ
سَبَتْنِي البَغُوْمُ بِدَلٍّ رَخِيْمٍ وَوَجْهٍ نَضِيْرٍ شَبِيْهِ القَمَرْ
وَرَدْفٍ نَبِيْلٍ وَخَدٍ أَسِيْلٍ كَسَيْفٍ صَقِيْلٍ يُحِيْرُ البَصَرْ

فاللَّذة لديه مرتبطة بأساسيات مهمَّة،كالمرأة،والشَّراب،والجلساء،لكنَّ المرأة هي المحور الأساس الذي يشغل حياته ،فيجدِّد تلك الحياة بتجدُّد علاقاته بالمرأة،أمَّا مفاتنها فهي المثير الَّذي يحرِّك غرائزه،فتصبح هدفا لابدَّ من اصطياده ؛لذلك فإنَّ تعطُّشه للمرأة وظمأه لوصالها لاترويهما نظرة عابرة،إنَّما لابد من الدخول في عالمها الحسِّيِّ.

الاستنتاجات والتوصيات:

نخلص إلى القول : إنَّ العاشق في صدر الإسلام والعصر الأموي لبس ثوب عصره وبيئته بكل ما يحمل هذا العصر وتلك البيئة من مبادئ وعادات وتقاليد، لكنَّ هناك اختلاف واضح في كثيرٍ من القضايا، فالعاشق في صدر الإسلام وجَّه عاطفته نحو القضايا الدِّينية،والسِّياسية،والاجتماعية ولم تلق عاطفة الحبِّ للمرأة والتَّعلق بها لديه إلاَّ الجزء اليسير من الاهتمام ،أمَّا في العصر الأموي فقد تغيَّرت صورة العاشق، إذ نقل اهتمامه من دائرة العاطفة الشَّاملة إلى مرحلة العاطفة الذَّاتيَّةِ وانصرف إلى همومه وعشقه، بعيداً عن هموم الأمَّة، وقد ظهر نوعان من الشُّعراء العشَّاق في تلك الفترة: عشَّاق أصحاب غزل عفيف مثَّلته كوكبة من الشُّعراء،وعشاق أصحاب غزل حسِّي وقد مثَّلته طائفة أخرى من الشعراء .

المراجع:

1.إبراهيم،عبد الحميد. قصص العشاق النَّثرية في العصر الأموي،دار الثَّقافة، القاهرة،ط1 ،.1972

[43] ديوانه،ص/14،15.

[44] ديوانه،ص/40 ،41.

2.ابن أبي ربيعة،عمر .تحقيق:عبد أ.علي مهنَّا، دار الكتب العلمية،بيروت،ط1 ،1406، .1986
3.ابن ثابت،حسَّان.الدِّيوان،تحقيق:عبد الرحمن البرقوقي، دارالكتاب العربي،ط1 ،.1990
4.ابن ثور الهلالي، حُميد.الدِّيوان ، تحقيق:محمد يوسف نجم ، دار صادر، بيروت،ط1 ،.1995
5.ابن حزام،عروة.الديوان،تحقيق:أنطوان محسن القوَّال،دار الجيل، بيروت،ط1 ،1416، .1995
6.ابن خالد المخزومي،الحارث.شعره ،تحقيق:يحيى الجبُّوري ،طبعة النعمان،النَّجف الأشرف،ط1 ،1392، 1972 .
7.ابن ذَرِيح،قيس.تحقيق:حسين نصَّار،دار مصر للطباعة،القاهرة،بلاط،1379 ،.1960
8.ابن زهير،كعب.الدِّيوان ،صنعه الإمام أبي سعيد الحسن بن عبيد الله السكري،الدار القومية،القاهرة،نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب،1369، .1950
9.ابن قيس الرُّقيَّات.عبيد الله.الدِّيوان ،تحقيق:محمد يوسف نجم،دار صادر،بيروت،1378، .1958
10.ابن معاوية،يزيد.الدِّيوان،تحقيق:واضح الصَّمد،دار صادر، بيروت،ط1، .1998
11.الأحوص، الديوان.تحقيق:مجيد طراد،دار الكتاب،بيروت،ط1 ،1415، 1994 .
12.الأصفهاني،الأغاني.تحقيق:إحسان عباس،إبراهيم السعافين،بكر عباس،دار صادر،بيروت،ط3 ،1429، .2008
13.ابن الملوَّح،قيس.تحقيق:عبد الستَّار أحمد فراج،دار مصر، الفجَّالة،بلاط،بلات.
14. ابن منظور، لسان العرب،دار صادر،بيروت،ط1 ،1410 ، 1990 .
15.ابن يزيد الوليد.الدِّيوان،تحقيق:واضح الصَّمد،دار صادر،بيروت،ط1 ،.1998
16.الأنطاكي،داود. تزيين الأسواق في أخبار العشَّاق، ، دار الهلال ، بيروت،1404 ،1984 .
17.بثينة،جميل،الديوان.تحقيق:حسين نصَّار،دار مصر،الفجَّالة،بلا ط،بلا ت.
18.التلمساني.ديوان الصَّبابة، ،تحقيق:محمد زغلول سلاَّم،منشأة المعارف،الإسكندرية،1987 .
19.الثَّقفي،أبو محجن ،صنعه:أبي هلال الحسن بن عبدالله العسكري، تحقيق: صلاح الدِّين المنجِّد، دار الكتاب الجديد ، بيروت، ط1 ،1389، 1970 .
20.الجوزية،ابن قيِّم.روضة المحبِّين ونزهة المشتاقين، ،تحقيق:علي بديوي،دار ابن كثير،دمشق،ط1 ،1423، .2003
21.الرافعي، مصطفى صادق. تاريخ آداب العرب، ،دار الكتب، بيروت،ط3 ،1394، 1974 .
22.العبد الله، كامل.شعراء من الماضي ،دار الحياة،بيروت،بلا ط،1962 .
23.العرجي. الدِّيوان ،تحقيق:سجيع جميل الجبيلي،دار صادر،بيروت،،ط1 ،.1998
24.عزَّة، كثيِّر.الدِّيوان ،تحقيق:إحسان عباس،دار الثقافة،بيروت،بلاط،1391، .1971
25.فيصل، شكري. تطوُّر الغزل بين الجاهليَّة والإسلام،من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة،دار العلم،بيروت،ط4،،بلا ت.
26.القرطبي، بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذهن والهاجس. تحقيق: محمد موسى الخولي، دار الكتب العلمية،بيروت،ط2،1402،.1982
27.النُّميري،الرَّاعي.الدِّيوان ،تحقيق:راينهرت فايبَرت،دارفرانتس شتاينر بفيسبادن،بيروت ،ط1،1401 ، .1980
28 .نافع،عبد الفتاح. الشعراء المتيَّمون في الجاهلية والإسلام ، ،مكتبة الكناني،عمَّان،ط1 ،1407، 1986.